العنوان:	تصورات "مايكل كارتر" عن جهود "سيبويه" في هندسة النحو العربي
المصدر:	مصطلحيات
الناشر:	المنتدى العربي للمصطلحية
المؤلف الرئيسي:	أبو حرب، إيمان عبدالمالك
مؤلفين آخرين:	اليعبودي، خالد(م. مشارك)
المجلد/العدد:	ع17,18
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2024
الشهر:	أكتوبر
الصفحات:	70 - 86
رقم MD:	1502604
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الدراسات النحوية، المستشرقون البريطانيون، النظريات النحوية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1502604

© 2025 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

أبو حرب، إيمان عبدالمالك، و اليعبودي، خالد. (2024). تصورات "مايكل كارتر" عن جهود "سيبويه" في هندسة النحو العربي.مصطلحيات، ع17,18، 70 - 86. مسترجع من http://search.mandumah.com//Record/1502604

إسلوب MLA

أبو حرب، إيمان عبدالمالك، و خالد اليعبودي. "تصورات "مايكل كارتر" عن جهود "سيبويه" في هندسة النحو العربي."مصطلحياتع17,18 (2024): 70 - 86. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1502604

© 2025 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

تصورات 'مايكل كارتر' عن جهود 'سيبويه'

في هندسة النحو العربي

إيمان عبد المالك أبو حرب[1] - خالد اليعبودي

- المقدمة

يُعتبرُ 'مايكل كارتر' (Michael George Carter)[2] من أبرز المستشرقين الذين اهتموا بالدراسات النحوية العربية، وقد أولى عناية خاصة بكتاب 'سيبويه'، تعكس أعماله المنشورة اهتمامه بالنظرية النحوية العربية. ارتبط اسمه بمسألة أثارتْ الكثيرَ من الجدلِ، تخصُّ مدَى تأثر النحو العربي بالثقافات الأخرى (من قبيل: المنطق اليوناني والنحوين السرياني والهندي)، صاغ المستعربُ الأنجليزي فرضية تؤكد خلوّ النحو العربي في نشأته من أي تأثير أجنبي، انصبّ نقده على أصحاب 'فرضية الاقتراض' القائلين إن النحو اليوناني هو الأنموذج المتّبع من لدُنِ النحاة العرب الأوائل في بناء نظريتهم النحوية. استدلّ 'كارتر' في موقفه المدافع عن أصالة النحو العربي بالمصطلحات التي استخدمها 'سيبويه' في الكتاب، إذ قسّمها إلى مجموعتين الأولى مصطلحات عربية الأصل وهي الأغلب، والثانية وهي قليلة العدد تتوافق مع المصطلحات اليونانية، وقد حرص على إبراز الفرق بين القياس الأرسطي المنطلق من الكليات إلى الجزئيات وبين القياس اللغوي النحوي العربي المتوافق مع القياس الفقهي، كما أوْلى عنايةً بالغةً بالكشف عن العلاقة القوية بين النحو والفقه، إذ اعتمدَ النحوُ على مصطلحات الفقه في تحليل الظاهرة النحوية، وقد أشار المستعرب البريطاني إلى تداخل العلوم بالتكوين الثقافي لأغلب النحويين المتقدّمين، من منطلقِ تضلّعهم في علوم الفقه والقراءات وعلم الكلام.[3]

يحاول البحث الإجابة عن عدة تساؤلات منها:

---

1 - كلية الدراسات العُليا، جامعة الشارقة (الإمارات العربية المتحدة).

2 - المزداد عام 1938، والحاصل على درجة الدكتوراه عام 1968 من معهد الدراسات الاستشراقية بجامعة أكسفورد، بأطروحته موسومة بـ" دراسة لمبادئ سيبويه في التحليل النحوي".

3 - الحريص، ناصر بن فرحان. (2017). وانظر جدامي، عبد المنعم السيد أحمد، المستشرقون والتراث النحوي العربي، الفصل الأول، 2016.

- هل استطاع 'كارتر' - بالحجج التي قدّمها للدفاع عن أصالة النحو العربي- ردّ ادعاءات المستشرقين والمستعربون المشكّكين في أصالة النحو العربي؟

- ما مدى علمية منهج الباحث في عرض الأدلة والبراهين المزكية لأصالة مضامين كتاب سيبويه؟

- هل وُفِّقَ الباحث في إثبات الصلة الوثيقة بين علمي الفقه والنحو عبر الاستقراء التاريخي الذي استند إليه؟

- كيف برهنَ الباحثُ على تأثير العلوم الإسلامية في صياغة الجهاز النظري للنحاة المتقدّمين؟

من الباحثين الذين عالجوا الموضوع، واستفادوا من كتابات 'كارتر':

- الدكتور 'عبد المنعم السيد أحمد جدامي' في كتابه "المستشرقون والتراث النحوي العربي" الصادر سنة 2016، تناول في الفصل الأول "فرضية المستشرق مايكل كارتر في أصالة النحو العربي"، وعالج في الفصل الثاني موضوع المستشرقين والتفكير النحوي قبل سيبويه، وخصّص الفصل الثالث للحديث عن المستشرقين ومكانة سيبويه في علم اللغة الحديث، وتضمّن الفصل الرابع من الكتاب حديثا عن المستشرقين والخلاف النحوي في التراث النحوي.

- 'ناصر بن فرحان الحريص' في كتابه "مايكل كارتر وجهوده في درس النظرية النحوية التراثية" الصادر سنة 2017 [1]، كشف فيه جهود المستعربين اللغويّين المعاصرين في درس النظرية النحوية التراثيّة بالتركيز على جهود اللغوي البريطاني 'مايكل كارتر' (Carter Michael) بوصفه أبرز المستعربين المعاصرين المهتمين بفكر 'سيبويه' ونظريته النحوية.

- 'أحمد مجدي عبد الستّار قطب' في بحثه الذي قدّمه لنيل شهادة الماجستير سنة 2020، بعنوان: "دراسة المستعرب 'مايكل كارتر' لسيبويه ترجمة ودراسة"، ذكر في القسم الأول منها سيرة المستعرب وبحوثه، ثم درس مضامين أطروحته، بدءًا بعنوانها وتصميمها، وفروضها وقضاياها، ومصادرها ومراجعها؛ وقيمتها عند الباحثين، وفي القسم الثاني من رسالته تناول موضوعاتٍ ترتبط بسياق تأليف الكتاب، وجملة الانتقادات الموجهة للكتاب.

1 - وقد تضمّن ترجمته لبحث: "التداولية واللغة التعاقدية في البدايات الأولى للنحو العربي والنظرية الفقهية" المنشور سلفًا في مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، في العدد 19.

- محمّد محمّد يونس في دراسته الصادرة سنة 2019 بالانجليزية بعنوان: "مبادئ سيبويه: النحو والقواعد في الفكر العربي الإسلامي القديم من وجهة نظر مايكل كارتر" .[1]

- أمل المروجي، صاحبة دراسة أصدرتها عام 2019، بالانجليزية بعنوان: مبادئ سيبويه: النحو والقواعد في الفكر العربي القديم، من وجهة نظر مايكل كارتر.[2]

- هاني مبرز، له دراسة أيضا صدرت سنة 2017 بذات العنوان.[3]

اعتمدنا في قراءة أفكار 'كارتر' على المنهج الاستقرائي التحليلي.

- مضامين دراسة 'كارتر':

نرَكّز في هذا المقال على رصد أبرز المحطات المضمّنة بكتاب 'مايكل كارتر'، وهو في الأصل أطروحة جامعية سلفت الإشارة إليها أعلاه.

تضمّن كتابه الأقسام التالية:

أ- مقدمات عامة وتشتمل على: تصديرٍ للمحررين: 'جوزيف لوري' (Joseph E. Lowry) و'ديڤين ستيوارت' (Devin J. Stewart) و'شوكت توراوا' (Shawkat M. Toorawa) أشادوا فيها بأعمال 'كارتر'، مع شكره لسماحه لهم بإعادة نشر أطروحته، والكتاب نسخة مصححة بإضافات مفصّلة في ملحق كل فصل، كما تضمّن التصديرُ ملخصًا للعمل.

- مقدمة المؤلّف تطرّق فيها للصعوبات والتحديات التي واجهته، وأبرز أهداف الكتاب، وطريقته في التحليل، والمنهج الذي اتبعه في ذلك، إذ اجتازت رحلته حدود الكثير من التخصصات الأكاديمية للوصول إلى مُبتغاه، مع شُكر كلّ منْ ساعده لإتمام العمل.

- مقدمة الطبعة أشار فيها الباحث إلى الدراسات العديدة التي تناولت سيبويه وكتابه، وقصورها في الإحاطة التامة بفكر هذا النحوي، وتجدر الإشارة إلى أنّ أطروحته أنتجت عددًا من المقالات، ذكرها كارتر في ملاحق الفصول.

1 - Sibawayhi's Principles: Arabic Grammar and Law in Early Islamic Thought by Michael G. Carter.

2 - Sībawayhi's Principles: Arabic Grammar and Law in Early Islamic Thought. By Michael G. Carter. A study for: Amal Marogy, (21019).

3 -- Carter, Michael G.: Sībawayhi's Principles. Arabic Grammar and Law in Early Islamic Thought. A study for: Hany Moubarez, (2017).

- الفصل الأول: منطلقات الدراسة، وفيه ناقش 'كارتر' منشأ الكتاب، وأنه لم يسبقه عمل أصيل كامل لنحويّ قبله، وأنّه الملهم لأغلب المؤلفات بعده.

- الفصل الثاني: نقد الدراسات السابقة، يشير 'كارتر' فيه إلى كثرة العلماء الغربيين الرافضين أو المترددين بأصالة النحو في الفكر العربي، موردًا بعض أقوالهم الرامية إلى إثبات الأصول الإغريقية (الهيلينية) للنحو العربي ما يشكل عائقًا يحول دون فهم كتاب سيبويه وقواعد النحو الفهم الصحيح.

- الفصل الثالث: القواعد والفقه (الأصول)، عرض 'كارتر' في هذا الفصل علاقة النحو بالفقه الإسلامي بشكل مفصّل، لنفي تأثّر النحو العربي باليونانية.

- الفصل الرابع: القواعد والنحو، وفيه يناقش 'كارتر' الفرق بين مصطلح "القواعد" الغربي المستخدم في ترجمة النصوص العربية وبين ما يقصده 'سيبويه' بكلمة النحو.

- الفصل الخامس: مبادئ "الكتاب"، تكلّم فيه 'كارتر' عن المعايير والمبادئ التي اهتم بها 'سيبويه' في الكتاب، ومقصوده من استخدامها وما يقابلها عند ترجمتها للغة الإنجليزية، وكيف أنها وثيقة الصلة بالأبعاد الأخلاقية والدينية، وبالتالي الاستخدام الفقهي.

- الفصل السادس: يحمل عنوان: "عشرون درهمًا"، ناقش فيه 'كارتر' الإضافة والتنوين، وما لهما من مكانة مهمة في بناء اللغة العربية، وعرض حججه بإيجاز، كما استعرض الحالات الاثنين وعشرين التي استشهد فيها 'سيبويه' بعبارة "عشرين درهمًا" في الحجة النحوية.

- الفصل السابع: " الخلاصة"، لخّص فيها المُؤلّفُ الانتقادات التي وجهت لِـ "الكتاب"، والصفات التي نُعت بها، ومجموعَ الأدلةِ والحججِ التي قدَّمها للردِّ على ادّعاءات الخُصومِ، مِمَّنْ قلّلوا من شأن "الكتاب" وكاتبه.

- المصادر والمراجع، تتضمّن قائمة الأعمال التي استند إليها المُؤلّفُ في بحثِهِ، وقد بَلغتْ ثلاث عشرة صفحة، مقسّمة ما بين مصادر عربية أوّلًا، تليها المصادر الأجنبية.

- الفهارس: تتضمن: فهرس للمصطلحات العربية والأسماء، وفهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأشعار.

- التمهيد:

بدأ الاهتمام بالنحو العربي في أوروبا في كتابات 'بيدرو دي ألكالا' (Pedro de Alcalá) (1455-1505م، ثم توالت الأبحاث عن النحو العربي، من ذلك دراسات: 'بيتر كرستين' (Peter Kristen) 1575-1640م، و'جون باتيست بوديستا' (Johann Batist Podesta) 1625-1698م، و'توماس إربنيوس' (Thomas Erpenius) 1584-1624م وغيرهم كثير، وصولًا إلى المستشرق الفرنسي 'سلفستر دي ساسي' (Silvestre De Sacy) 1758-1838م، ثم 'إيفالد' (Ewald Georg.Heinrich August) 1803-1875م، و'ثيودور نولدكه' (Nöldeke Theodor)

1836-1930م في القرن التاسع عشر، وفي القرن العشرين 'رومان بلاشير' (Roman Blachère) 1900-1973م و'براجشتراسر' (Gothelf Bergsträsser) 1933 -1886م.

أشار 'كارتر' إلى رفضِ المستشرق 'إيفالد' عام 1830 الزعمَ الشائعَ أنّ النحو العربي مأخوذ من النحو اليوناني بواسطة السريان، ناعِتًا منْ صاغَ هذا الافتراض بالجهل. كما أنَّ الإيطالي 'جويدي' (Ignazio Guidi) 1844-1935 ذهبَ نفسَ المذهبِ في التشكيكِ في أصالة النحوِ العربيّ، واقتفى أثرهُ 'مِركس' (Marcus Joseph Müller) 1809-1874م لاحقا.[1]

- عرض آراء المستشرقين في النحو العربي

أخذ موضوع أصالة النحو العربي منحى السجال بين المستشرقين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان أكثرهم شهرة 'إرنست رينان' (Ernest Renan) 1823-1892م، و'إجناس جولدزيهير' (Ignác Goldziher) 1850-1921م، و'مركس' (Marcus Joseph Müller)، تتلخّص آراؤهم على النحو التالي:

° كتبَ 'إرنست رينان' (Ernest Renan) في هذا الموضوع في معرض تساؤلهِ عن أرجحيةِ اقتباسِ المسلمين قواعدَ النحو من السريان أو الإغريق، فأجابَ بالنفي باستحضارِ نقاط عدة، أبرزها:

- عدمُ إشارة المؤرخين العرب إلى موضوع التأثّرِ، وارتباطُ الإبداع في النحو العربي بالقرآن الكريم، إذْ وُضِعَ النحوُ لحفظ لغة التنزيلِ من التحريف، وتسويغُ صحة ارتباط القرآن بالكتبة في بداية العصر الإسلامي من خلال السريان، معَ دحضِ فرضيةِ تدخل الأثر الأجنبيّ في تقعيدِ النُّحاةِ للغة الإسلامِ المقدسة وتعابيرها الموحى بها.

- أصالةُ تقسيمِ النحاةِ العربِ للكلامِ إلى اسمٍ وفعلٍ وحرفٍ، لأنه لوْ اقترضَ العربُ شيئًا في النحو العربي لظهر في مسميات المصطلحات.

- الإشارةُ إلى يقينِ النحاة العرب بأنّ علمَ النحو هبةٌ ربّانيةٌ، وإيمانهم في مناظراتهم ومكتوباتهم النحوية والفقهية والكلامية بتفوّق اللغة العربيةِ.

° جولدزيهير (Ignác Goldziher)، إذ تساءلَ: هل النحوُ العربيّ نتاجٌ عربيّ أو وليد تأثيرٍ خارجيّ؟ وقد جزمَ بأن العربَ لمْ تأخُذِ النحوَ من السريان أو اليونان، إنما بواسطة الفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضيات

1 جدامي، المستشرقون والتراث النحوي العربي، الفصل الأول، 2016.

وغيرها، التي لا تختلف من أمة إلى أخرى. إنّ جوهر القضية في نظره هي كيفية صياغة العرب لتحليلات أقسام الجمل والكلام وتقعيد القواعد بمنأى عنْ أيِّ تأثير، لقناعته بأنّ العرب يفتقدون إلى الأصالة في حياتهم وفي عقليتهم، ما يستلزم في نظره التشكيكَ في أصالة النحو العربيّ، واستحضار الدور السرياني، وقدْ أكَّدَ على أنَّ قواعدَ العربيةِ مرتبطةٌ أشدَّ الارتباطِ ببداية وجود علامات الإعراب (الحركات)، وهذه هي العلاقة الأولى في فهم النحو عند العرب.

إنَّ مختلفَ العلاماتِ الإعْرابية مُتكافئةٌ – في تصوّره- مع نظائرها باللغة السريانية، ما يُعَزِّزُ في نظره فرضيةَ تأثيرها على اللغة العربيةِ، ويبرهن على نقض حجة رينان التي تؤكد أصالة المنهج النحوي عند العرب. كما يرد على رينان بالقولِ إنَّ التاريخ العربي أسقط الإشارة إلى تأثر أبي الأسود الدؤلي بالأصل السرياني. كذلك الأمر في موضوع تقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام، ونسبتها إلى الإمام علي رضي الله عنه، بينما المفترض في نظره اقتباسُها عنْ تراث أرسطو، وهو أمرٌ مسكوتٌ عنهُ في التاريخ الثقافي العربي.

° مركس (Marcus Joseph Müller) يرى أنَّ العرب تأثروا بمنهج بناء النحو في الفكر اليوناني بواسطة سريانية، معَ وجودِ اختلافٍ بين قواعد اللغتيْن اليونانية والعربية. أما عدم ذكر أي إشارة في التاريخ العربي لهذا التأثير فيرجعه مركس لجهل العرب بعلاقة النحو بالمنطق في البداية، لأنّ الموضوعَ تطلَّبَ منهم زمنًا لاستيعابه، بدليل استخدام العرب لتقسيم الكلم الثلاثي المرتبطِ بالفكر اليوناني.[1]

كانت هذه الآراء سائدة بين المستشرقين في دراستهم لقضايا الفكر العربي، وقد حاول بعضهم البحث بالاستنادِ إلى التحليل الموضوعي لمعرفة مدى صحة الفرضيات لدحضها بالدليل الواضح. هذا ما دفع 'كارتر' إلى التقصّي بـ: كتاب 'سيبويه'، فمعَ وُجود أخبارٍ عن نشأةِ علم النحو قبله، فالكتابُ المصدر الوحيد الذي يمكن العودة إليه، كونه أقدم أثرٍ للنحو بقي كاملًا وصامدًا إلى يومنا هذا. فلنتابع منهجية المستعرب الأسترالي في دراسة تصوّرات 'سيبويه'.

- أصلُ 'الكتاب'

يستهلّ ' كارتر ' كلامه بالحديث عن منشإ **'الكتاب'**، من منطلق أنّ لكل عمل أصل يستند إليه، غيرَ أنَّ **'الكتابَ'** عملٌ غيرُ مسْبوقٍ من زاويتيْ الاكتمال والأصالة ، وهو يعدّ ملهمًا للخلف. أشار 'كارتر' -في هذا الإطار- إلى احتمالية زيف مقدمة 'خلف الأحمر' التي قد يُنسب اعتماد سيبويه عليها في كتابه، فلم تَتبقَّ

1 جدامي، المستشرقون والتراث النحوي العربي، الفصل الأول، 2016.

سوى روايات العرب أنفسهم لمن أراد إثبات مصدر 'الكتاب'، وهي من ناحية غير موثوق بأصالتها، ومن ناحية أخرى لم تحظَ باهتمام حتى وقت قريب؛ والأمر ينطبق على **'الكتاب'** ذاته.

إن كلّ الروايات عن إسهامات 'أبي الأسود الدؤلي' النحوي ليست دليلًا على بدايات النحو، وقد سبق 'الزبيدي' 'فلوجل'[1] في جمع عدد الروايات التي تتحدث عن 'الدؤلي' وقسّمها إلى ثلاث مجموعات: مجموعة أولى: تتضمّن روايات عن أخطاء النطق لمن لا يستطيع النطق بشكل صحيح. مجموعة ثانية تشمل روايات نحوية صادرة عن الفئة المذكورة في المجموعة الأولى. ثم مجموعة ثالثة تشتمل على روايات عن الطرائف التي كانت تدور في مجالس العلماء.

يؤكد 'كارتر' أن 'أبا الأسود الدؤلي' اشتهر بقول الشعر أكثر من اشتهاره بتأسيس ركائز النحو، دليل ذلك أبياته التي خطّها في ديوانه -والشعر من عادات العرب- وقد ذكر بعضها 'سيبويه'، ما يوضّح أنه لم يرد في 'الكتاب' نحويًّا إنما شاعرًا فقط. كما يُشكّك 'كارتر' في إمكانية أخذ 'سيبويه' عن 'عيسى بن عمر' الذي نسب إليه كتاب "الجامع" و"الإكمال" المفقودين، وذلك لسببين: الأول: الفارق التاريخي بينهما يضعف إمكانية أخذ 'سيبويه' عنه، والثاني: عدم شيوع أقوال 'عيسى بن عمر' في 'الكتاب'، إذ لا ينقل عنه بشكل مباشر وإنما بواسطة 'يونس'. وقد ذُكر 'عيسى بن عمر' في 'الكتاب' أربع عشرة مرة، أربعة فقط تتّصل بشكل غير مباشر بأحكام نحويّة لـِ'عيسى بن عمر'.

يتحدّث 'كارتر' أيضا عمّن عاصر 'سيبويه' من العلماء، ممن ألف أعمالًا في اللغة العربية لكنّها لم تشتهر شهرة 'الكتاب'، من هؤلاء: 'أبو زيد الأنصاري'، و'أبو عمرو بن العلاء'، إلّا أنّ آثارهم تندرج ضمن السياق المعجمي واللهجي لا النحوي. وأكّد على أن الدلائل تشير إلى نفي أي مرجع سابق يمكن افتراضهُ مصدرًا لـِ'الكتاب'، من منطلق اعتمادِ 'سيبويه' على منهج شامل متناسق موحّد ومتسق في دراسة العربية. وقد بيّن 'أبو على الفارسي' أنّ العربَ البدوَ المتميّزينَ بالفطرة اللغوية السليمة عرضةٌ للأخطاء في غياب لجوئهم إلى قواعد نحوية واضحة.

يعتبرُ 'كارتر' 'الكتابَ' المصدرَ الأولَ لقواعد اللغة العربية، بالنظر إلى خصوصية بنائه وفكره النحوي السابق لعصره. إنّ الغيابَ التامَّ لأيّةِ إشارةٍ في 'الكتاب' إلى الطبقتيْن الأولى والثانية من طبقات النحويين دفعَ 'إبراهيم مصطفى' إلى جعْلِ 'عبد الله بن أبي إسحاق' المنتمي إلى الطبقة الثالثة مؤسسَ قواعدَ النحوِ. إنَّ احتمالية تَتَلْمُذِ 'سيبويه' على يديْ كلٍّ من 'الخليل' و'يونس' تعني عدم وجود قواعد نحويّة مكتوبة

1 Flügel, Gram. Schulen 17–26.

قبل 'سيبويه'، فهو لم يأت إلى البصرة لتعلم النحو، وهذا يتماشى مع إشارات 'الكتاب' لنحاةٍ آخرين، كما في قول 'سيبويه': "النحويون" أو "يونس وبعض النحاة"، ولم تكن هذه الصفة تدلّ على التقدير زمن تصنيف 'الكتاب' كما في الوقت الحالي، وذلك بسبب اختلافه مع آرائهم في أغلب الأحيان.

يتابعُ 'كارتر' في هذا الفصل حُجج النحاة في خلافاتهم، التي تُعتبر الدليلَ الأوْحدَ المثبتَ لِحال النحو في تلك الفترة، ويقوم بتزكيتها عبر استحضار أمثلة من معارضي 'سيبويه' أو آراء آخرين عُبِّرَ عنها بعبارات، من قبيل: "من قال" و"من زعم" وغيرها.

إن الحسّ النحوي كان موجودًا فترة طويلة قبل 'سيبويه'، إذ يظهر الحرص على خلوّ اللغة من الشوائبِ عند 'النابغة' و'الحطيئة' و'الفرزدق'، لكن دونما فرض سلطة نحوية، بالمقابل تكمنُ سلطةُ 'سيبويه' في قوّة حُججه النحوية. يُعتبرُ 'الكتابُ' المصدرَ الوحيدَ الموثوقَ به للأدلة النحوية المُبكِّرة، ولا نجدُ به أيَّ ذِكرٍ لـِ 'أبي الأسود' باعتباره نحويًا، بل مُجرَّدَ روايات لآراء من يُنعَتون بِ 'النحويين الأوائل'. أحصى الكاتبُ سبع عشرة إشارة إلى "النحويين" ليُبرهنُ على وجودِ مجموعة من الآراء النحوية، مفترضًا أنَّ تصنيفَ 'الكتاب' جاءَ للردّ على أصحابها. من الواضح أن 'سيبويه' كان لا يتفق مع آراء الآخرين، مثل 'الخليل' و'يونس'، وقد اهتمَّ الأوّلُ بعلم الأصوات بشكل رئيسي، إذْ أشار 'سيبويه' إلى ذلك بإثنيْ وعشرينَ موضعًا في الكتاب[1] أما اهتمامُ 'سيبويه' فقد كان منصبًّا على النحو. يختم 'كارتر' الفصلَ بعرض قائمة للعلماء المذكورين في الكتاب وأصحاب القراءات القرآنية.

من اللافتِ للنظر أن 'كارتر' عندما يضعُ عبارةً أو مصطلحًا بالحروف اللاتينية أو غيرها يذكرها دون ما يُكافئها بالإنجليزيّة، أو قد يورد من تناول الكتاب بالترجمة والشرح، ثم يضع العبارة باللغة الأصيلة للمترجم نفسه، مثاله أن يكون هذا الأخير ألمانيًّا فينقل النص كما هو: "Ueber diejenigen Constructionen, welche die Grammatiker als incorrect für hässlich halten, und anders beurteilen als die Araber"[2] ولا يتبع ما نقل بلغة مختلفة عن الإنجليزية بترجمة ما، وكأنه يفترض أن القارئ يفهم تلك اللغة أو على أقل تقدير قد اطّلع على كل الدراسات التي دارت حول الكتاب، كما هو حال النصّ السالف الذكر، الذي هو ترجمة عنوان أحد الفصول، وضعه المترجم 'جون جوستاف' (Jahn,Gustav)[3] ومعناه: "في موضوع

1 Carter. P17-18-20 and others.

2 Carter. P10

3 Sîbawaihi's Buch über die Grammatik / Übers. und erläutert von Gustav Jahn. Author: Sîbawayh, ‘Amr ibn ‘Uthmān, active 8th century; Published: Hildesheim : G. Olms, 1969.

التراكيب التي يعتبرها النحاة غير صحيحة أو قبيحة ويختلف حكمها عن العرب". وهذا النقل يختلف عن النقل الحرفي للكلمات العربية المنقولة من الكتاب، فيوردها كما هي، ويحكُم بصحتها أو خلافه.

- انتقادات موجّهة لـ ' الكتاب':

بدأ 'كارتر' الفصل الثانيّ بالإشارة إلى كثرة العلماء الغربيين القائلين بفرضية التأثّر، أو المشكّكين في أصالة النحو العربي. فأورد بعض أقوالهم التي أرادوا بها إثبات تأثّر النحو العربي بالمنطق الأرسطي أو بالعقيدة الهيلينية، مع إشارته إلى أنّ النسبة الأخيرة – أي العقيدة الهيلينية- تشكل عائقًا خطرًا أمام فهْم **'كتاب'** 'سيبويه'، وربما لقواعد النحو بشكل عام، إذ تظهر اهتمامًا ضئيلًا نسبيًا بالعلوم اليونانية. واعتبر احتدام الجدل بين 'السيرافي' و'أبي بشر بن متّى' دليلاً يجسّد العداء بين النحاة والفلاسفة، ما يُفسِّرُ تبرّأ النحاة من أفكار 'الرماني' بسبب ميوله المزعومة نحو الفلسفة في تأليفه 'شرح كتاب سيبويه' الذي حاول فيه إدخال نسق الترتيب الفلسفي، ما جعل غالبية أساليبه أكثر منطقية من المنطق، واعتبر 'الرماني' ضحية من حرصوا على تشويه سمعته.

يذكر 'كارتر' أن كتاب 'الإيضاح في علل النحاة' لِـ 'الزجاجي' يُمثّل دفاعا عن الحجة النحوية ضد الأساليب الفلسفية، ما عدا بافتراض استعارة العرب للأفكار الفلسفية وتضمينها بقواعد اللغة دون وعي بذلك، بل بافتراض جهلهم بتلك الأصول اليونانية في الوقت التي أصبحت تلك الأفكار معروفة. لذلك لزمَ الانتصارُ لِما صرّح به 'الزجّاجي' في كتابه.[1]

يعلق 'كارتر' على نصّ صاحب "الإيضاح في علل النحو" بأنه يُشخِّصُ رفضَ النحاة للتعريف المنطقي للاسم، ما يُفسّرُ عدمَ وجوده في **'كتاب'** 'سيبويه'. إنها ملاحظةٌ تدْحضُ حجّةً مُضلّلةً أوردها

---

1 "-(The logicians) say that a noun is a conventional sound accidentally denoting a meaning and unconnected with time. This is not the terminology nor the conventions of the grammarians, but it is merely the logicians' way of talking, although a number of grammarians have taken it up. It is true according to the conventions and system of the logicians, because their aim is not our aim, and their purport is not our purport (Zajjājī, Īḍāḥ 48)

(تراجع الصفحة 36 من كتاب 'كارتر')

=في الترجمة للنص المنقول من اللغة الإنجليزية، يقول: "قال المناطقة إن الاسم هو صوت تقليدي يشير بطريق الخطأ إلى معنى غير مرتبط بالوقت. هذه ليست اصطلاحات ولا تقليد النحاة، لكنها مجرد طريقة منطقية في الكلام، رغم أن عددًا من النحاة قد تناولها. وهذا صحيح وفق أعراف وأنظمة المنطقين، لأن هدفهم ليس هدفنا، ومغزاهم مغاير لمغزانا.

يقول 'الزجاجي' بالنص الأصلي من كتابه: إن "المنطقيين وبعض النحويين قد حدّوه حدًا خارجًا عن أوضاع النحو، فقالوا: الاسم صوت موضوع دال باتفاق على معنى غير مقرون بزمان. وليس هذا من ألفاظ النحويين ولا أوضاعهم، وإنما هو من كلام المنطقيين وإن كان قد تعلق به جماعة من النحويين. وهو صحيح على أوضاع المنطقيين ومذهبهم لأن غرضهم غير غرضنا، ومغزاهم غير مغزانا".1 (الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزَّجَّاجي (ت 337 هـ)، تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة، 1406 هـ - 1986م).

المستشرقُ ' فيشر'[1] إذ قدّم النحويّ البصريّ في نظره تعريف 'أرسطو' للاسم طالبًا أن تقبل حجته، وذلك فقط لأن الأمثلة التي مثل لها 'أرسطو' للاسم (رجل، حصان) هي نفسها التي ذكرها 'سيبويه' في **'الكتاب'**، إنه تواردٌ لا يمكن أن يقع مصادفةً.[2] انتقد 'كارتر' حجة 'فيشر' مُرجِّحًا أن 'سيبويه' لم يكن يعرف شيئًا عن تعريف 'أرسطو' ولا عن الاقتراض المزعوم، إذ لا يكفي التطابق الجزئي لإثبات وجود صلة قد تكون مجرّد صدفة.

يذكر 'كارتر' أن جزءًا من حجّة 'فيشر' تتضمّنُ فكرةَ أنَّ المفاهيمَ الأساسية لقواعد النحو العربي مستعارةٌ من النسخة العربية لكتاب الشعر لـ: 'أرسطو'، ويفنّدها بالقول: إن أقدم ترجمة لهذا الشعر هي ترجمة أبي بشر (المتوفى 328هـ) أي متأخرة بنحو مائة وخمسين عامًا، بذلك فليس لها أيُّ تأثيرٍ مباشرٍ على 'الكتاب'، الأمر الذي يبطل مقدمة 'فيشر' بأكملها تقريبًا. ومن الأهمية أيضًا التساؤل عن سبب اقتراض العرب لذلك، لكن يبدو أنها طريقة واضحة للتعامل مع المشكلة، ومن المرجّح استحالة فهمها من لدن من ضلّلتهم نزعة الانتصار للهيلينية.

انتقل 'كارتر' -بعد أن أوضح ضعف دليل 'فيشر'- إلى عرض أفكار المتعصّبين للنزعة الهيلينية، والمعارضين لأصالة أي علم يبتكره العرب، بإيمانهم أنّ كلّ طفرة في ثقافة العرب مستعارةٌ من الإغريق، وتساءلَ مستغربًا عن الدواعي التي تدعو العرب إلى استعارة نظامهم النحوي من اليونانية. فأشار إلى أنّ تصوّر 'فيشر' لا يقدّم سوى حجّة التشابه في المصطلحات.

يلجأ 'كارتر' في فصوله التالية إلى وصف مجهود 'سيبويه' في "الكتاب"، فصول تتضمّن إثباتات لاستقلال فكر 'سيبويه' عن الفكر اليوناني، بالنظر إلى اختلاف الأهداف. يحدّد 'كارتر' منطلقات 'أرسطو' بأنه "يعتمد بشكل كبير على الحقائق اللغوية، لكن هدفه يتمثل في كشف الحقائق المرتبطة بالعناصر غير اللغوية"، إنها عبارة مقتضبة تختزل الفكر الأرسطي يستحيل أن يسلم أحد بوجودها في 'الكتاب'، ولو كان من أكثر الهيلينيين تعصبًا.

إن ما يثير اهتمام 'سيبويه' – بحسب 'كارتر'- هو ببساطة الطريقة التي تعمل بها اللغة، ممّا يفيدُ وجود اختلاف بين الدوافع اليونانية والعربية. يقدّمُ الباحثُ أدلّةً على عدمِ ثبوتِ انتشارِ أفكارِ 'أرسطو'

1 Fischer, August, Bräunlich, E. 1945. Schawāhid-Indices. Indices der Reimwörter und der Dichter der in den Schawāhid-Kommentaren und in verwandten Werken erläuterten Belegverse. Leipzig, Wien.
2 Carter. P36

المضمّنة بكاتبه "فن الشعر" في القرن الثاني الهجري، ذلك أنَّ الإغريقَ كانوا متمرّسين في الفلسفة والمنطق، لكن غير متميّزين في مسائل البلاغة والخطابة، مستندا في هذا الحُكم على آراء المستشرق 'بروكلمان'.

قدَّمَ 'كارتر' مثالًا حقيقيًّا لفحص فرضية تأثير المنطق اليوناني على قواعد اللغة العربية، بالانطلاق من كُتيّب مختصر لـ 'الفاكهي' (ت 972 هـ/1546م) بعنوان "الحدود" في النحو، عنوانٌ يدلّ بالتأكيدِ على ارتباطه بالتعريفات المنطقية، وهي قد تصحّ في تعريف الفرّاء للحد، لكن الحدّ في الكتاب يستخدم حصريًا بمعنى "الطريقة العادية للتحدث"، ولا يوجد ما يُثبت أنه مصطلحٌ فلسفيّ. وقد أورد أمثلة أخرى في تقسيم الفعل إلى أنواع ثلاثة، ووصفَ الإضافة بأنها إسنادٌ من اسمٍ لآخر، وغيرها من الأمثلة، وأشار أيضًا إلى تغلغُلِ الأساليبِ المنطقيةِ بتحليلات 'الفاكهي' النحوية، كما يتبيّن من استخدامه الإسناد بوصفه مصطلحًا منطقيًّا بمنأى عن معناه النحوي المعتاد. ويؤكّد على حصول هذه الاقتراضات في النحو العربي بعد عهد 'سيبويه'، كما يجزم بفشل 'فيشر' في إيجاد صلة بين المفاهيم اليونانية ومبادئ الكتاب، نظرا لغيابِ رابطٍ يربطه بالمنطقِ اليوناني. فكل الأسماء التي قدمها 'فيشر' لدعم فرضيته لا تغير حقيقة أن سيبويه مات قبل عقود أو بالأحرى قرون من ظهور تلك الشخصيات في علم النحو. إن أطروحة 'فيشر'، بصرف النظر عن كونها قائمة على الادعاء الضعيف تتميز بنهج حكم مسبق حازم، ومن الصعب للغاية مقارنة اللغة العربية بالمصطلحات اليونانية بشكل مرضٍ، كما أن التطابق الجزئيّ لا يبرر حصول الاقتراض. وقد كتب 'فايس' مقالا يعد أحد الاختبارات القليلة الواضحة لمشكلة الأصول النحوية العربية، يفنّد فيه العديد من حجج 'فيشر'، والتي يودّ 'كارتر' إكمالها بملاحظاته الخاصة. يعمد 'كارتر' أيضًا إلى تفنيد حجة 'فيشر' في كون النحاة العرب قاموا بتعديل "التقسيم الثماني للكلمة" ليصبح تقسيما ثلاثيا، واعتبر فرضية التعديل تلاعبًا تعسفيًّا بالحقائق.

- النحو والفقه (العلوم الشرعية)

يعرض ' كارتر' في الفصل الثالث علاقة النحو بالفقه الإسلامي بشكل مفصل، لنفي مقولة تأثر النحو العربي باليونانية، بالتأكيد على أن الجدالات النحوية برزت بشكل واضحٍ قبل تحرير مواد "الكتاب" نفسه، ما دعاه إلى البحث عن مصدر آخر غير المنطق اليوناني، لاستحالة ظهور النحو العربي من عدم، فاقترح مبادئ الشريعة الإسلامية مصدرا استند إليه 'سيبويه'، واتخذه نموذجًا في صياغة قواعد النحو.

يستحضر 'كارتر' المناقشات المفصّلة التي أوردها 'ابن جني' المرتبطة بعلاقة العلل النحوية بالعلل الفقهية والكلامية، فالتشابه بين الأساليب الفقهية والنحوية كان معروفًا في القرن الرابع الهجري. وقد اعتبر 'الأنباري' في 'لمع الأدلة' الأمر بدهيًا، إذ يشرح المبادئ النحوية لإظهار مدى تطابقها مع مبادئ الفقه، إضافة إلى ما كتبه 'السيوطي' بخصوص استناد مبادئ النحو على مبادئ الشريعة.

يؤكد 'كارتر' أن بعض العلماء الغربيين توصلوا إلى نتيجة مفادها وجوب توظيف أعمال الفقهاء لفهم أي لغة بشكل أكثر جلاءً، نتيجة يمكن تطبيقها على بدايات النحو العربي.[1]

يضرب 'كارتر' العديد من الأمثلة لبيان التطابق الموجود بين استعمال الفقهاء واللغويين لبعض الاصطلاحات، من بينها: الحسن والقبح والقياس، ولعل أظهر دليل على ذلك أن علماء النحو لهم اهتمامات علمية أخرى، فهم لم يكونوا لغويين فقط، بل منهم القرّاء والفقهاء وعلماء الكلام وغيرها من العلوم المتصلة بالدين الإسلامي بشكل وثيق، ممّا يكشف عن الأثر الفقهي في النحو العربي ومصطلحاته، من هؤلاء نذكر: 'عيسى بن عمر' أستاذ 'سيبويه'، نُسب إليه كتابان في النحو هما "الإكمال" و"الجامع" وهما مفقودان لم يصلا إلينا.[2] ويضيف أسماء علماء اختصوا بعلم النحو إلى جانب كونهم من القرّاء والفقهاء وغيره من علوم الشريعة الإسلامية.[3] وغيرهم من الأعلام كثير ذكرهم 'كارتر' وبسط ما قيل في علمهم في أمهات المصادر ونسبتهم إلى فروع العلوم المختلفة، والملاحظ أنه لم يكتفِ ببعض النصوص وإنما استفاض بالنقول والأقوال لتقوية حجته، علاوة على مناقشة أدلة المعارضين لهذه النظرية وسوق الأدلة والبراهين،

---

1 فقد استشهد بنقل من كتاب "شارل بيلا" يقول فيه: يمكن أن يمتد التوازي بين أساليب استقصاء الفقهاء واللغويين إلى حد كبير، فالمعايير الأساسية للفقهاء هي: القرآن، التقليد، الإجماع المطلق، القياس، والاجتهاد (الرأي الشخصي) وهناك تطابق ضمني مع معايير اللغويين في دراسة مفردات القرآن، والتقاليد، والشعر القديم، والاستعمال، والاستدلال بالقياس. والنص باللغة

انظر: **Pellat, Langue et litt. arabes 32.**

2 وهذه الفقرة تظهر ما نصّ عليه كارتر في هذه القضية بقوله: "كان عيسى بن عمر الثقفي شيخَ سيبويه، يَنسب البعض له عملين مفقودين، وهما الإكمال والجامع، استثمرهما سيبويه في الكتاب. وكان عبد الله بن أبي إسحاق.. مصدرًا آخر من مصادر سيبويه، وإن لم يكن على الأرجح على صلة شخصية مباشرة، وقد أخذ القراءات من يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم. وهذا مثير للاهتمام لأنهما يصنفان على أنهما نحويان في المرحلة الأسطورية لأبي الأسود، ومع ذلك فهما أيضًا من القرّاء والفقهاء. يعود الفضل في اختراع نقط الإعراب إلى يحيى بن يعمر، ما يدلّ على ارتباطه الوثيق بالعلوم الدينية بشكل خاص، إضافة إلى كونه مصدرًا من مصادر الحديث. ويبدو أن نصر بن عاصم كان مرتبطًا بالقدرية، الأمر الذي انعكس على دراساته النحوية والقرآنية بشكل كبير، يصفه ياقوت بأنه □فقيه وخبير في اللغة العربية بين الفقهاء□، إلّا أن ياقوت أشار إلى انتسابه لمذهب الخوارج".

3 -إذ يقول 'كارتر' بهذا الصدد في ذات الفصل: "هناك العديد من الأسماء الأخرى لمن تخطوا الحدود الضيقة للاختصاص العلمي، وبرعوا في اختصاصات عدة، فأبو معاوية شيبان بن عبد الرحمن التميمي (ت 164-70) كان تلميذَ الحسن البصري وناقلًا موثوقًا للحديث، إضافة لكونه نحوي، أشاد به أحمد بن حنبل على صحة حديثه، وحصل على لقب نحوي مقابل اسمه في قائمة الناقلين لابن سعد. والضحاك بن مزاحم أبو القاسم البلخي (ت 105-6) إضافة إلى كونه نحويًا معروفًا، كان أيضًا ناقلًا للحديث ومترجمًا للقرآن. والنضر بن شميل (ت 203) هو أحد تلاميذ خليل الأربعة ومعاصر لسيبويه، وقد ارتقى إلى مرتبة عالية في علم الفقه، ويوصف بأنه خبير في المفردات المغمورة، والشعر، والقواعد، والتراث، والتاريخ، والفقه. أصبح قاضيًا لمدينة مرو، وكان أول من أدخل إليها السنة، وحكم فيها بالعدل وعاش حياة جديرة بالثناء، ورغم مهنته القانونية إلّا أنه لم يكتب في القانون أو الفقه، لكنّ إنتاجه اللغوي كان كبيرًا. وقد ترك بعض الملاحظات الهامّة، وقد نسب لأبي حنيفة أنه أغرق الجميع في الجدل الفقهي بعد أن كان الناس يسكنون لأحكام الفقه دون أخذ ورد. ويُنسب للنضر بن شميل قوله إنه لم ير أحدًا أكثر علمًا بالسنة بعد ابن عون من خليل بن أحمد. وتكشف هاتان الملاحظتان بوضوح عن اهتمام النضر بن شميل بالفقه والقانون، رغم أن كتّاب السيرة أشاروا إلى أنه يجب أن يسجله التاريخ في المقام الأول باعتباره نحويًا.

إما لإضعاف تلك الأدلة أو لدحضها وتبيان عدم قدرتها على الثبوت أمام الحقائق والأدلة التي بيّنها. وهذا النقل وغيره كثير أورده 'كارتر' في أطروحته للتدليل على نظريته التي يريد إثباتها وهي أصالة الفكر النحوي العربي، وتأثره بعلم الفقه خاصة والعلوم الإسلامية الأخرى عامة.

يثبت لدى 'كارتر' - وفي غياب جميع الأدلة التي تبرهن على أن النحو العربي مستعار من اليونان- أن قواعد اللغة العربية استمدّت مبادئها من الفقه الإسلامي، وذلك بعد أن قدّم حججا تاريخيّة لإثبات أن الفقهاء والنحاة كانوا على تواصل متكرر، وأن 'سيبويه' وفدَ إلى البصرة لدراسة الفقه لا النحو، وأن العديد من النحاة أيضًا كان لهم نشاط فقهي معروف، مفصّلًا بعدها بأمثلة من العبارات ذات الأصل الفقهي البحت الموجودة في نصوص الكتاب.

- الارتباط بين القواعد والنحو

يناقش 'كارتر' في الفصل الرابع الفرق بين مصطلح "القواعد" وما يقصده سيبويه بكلمة "النحو". نكتفي بخُلاصةٍ تكشفُ عن منهجه في دراسة الموضوعِ. إننا نعتبر هذا الفصل تطبيقيًّا أكثر ممّا هو نظري إذ يتناول استخدامات 'سيبويه' لكلمة النحو في الكتاب.

يستخلص 'كارتر' أن كلمة "نحو" في الكتاب لا تعني "القواعد"، وهو أحدُ المرادفات العديدة المستخدمة في اللغة العربية للإشارة إلى السلوك، إذ يعتبر 'سيبويه' اللغةَ شكلًا من أشكالِ السّلوك. ومصطلح النحو نفسه له عدّة مرادفات في الكتاب، فليس هو القواعد "الجراماطيقا" ولا يمثل علم التركيب. إن المصطلحات في الكتاب مبنية على الاستعارة الدقيقة، ومن المحتمل ارتباطها بمصطلحات الشعر، والتي تمثل مساهمة شخصية من قبل 'الخليل' في علم الأصوات العربية، الأمر الذي تم تكييفه وتوسيعه من قبل' سيبويه' في قواعد اللغة، التي اعتبرها عملية وفعلا اجتماعيا، وتجنّب الخوض في مسائل المعنى الذي يعدّ ثانويًّا في الكتاب، واعتبر أن القياس عملية يمارسها متحدثو اللغة العربية والنحاة على حد سواء.

- المعايير ومبادئ النظر في "الكتاب"

عمد 'كارتر' في الفصل الخامس إلى جرد المبادئ والمعايير التي استند إليها 'سيبويه' في "الكتاب"، مبرزًا مقصدهُ من استخدامها ومقابلها بترجمتها للغة الإنجليزية، وصلتها بالاستخدام الأخلاقي والديني، ثمَّ بالاستخدام الفقهي، فبالنظر إلى الكتاب وترتيبه يتبين أن 'سيبويه' قد وضع النحو قبل الصوتيات، فهو لم يستخدم فكرة الجملة في معالجته للحكم، لكنه تحدث عن الكلام المنتهي بالوقف. الكلام فعل ينقسم إلى وظائف نحوية، والتي ذكرت في الكتاب أكثر من سبعين مرة. إن التناقض مع أجزاء الكلام الثلاثة يوضح أن فكرة الوظائف تمثل الانشغال الأكبر بذهن 'سيبويه'، فكلّ وظيفة تتألّف من عنصريْن تشكّلان ثنائيةً تعتمدُ في

تحليل اللغة العربية، فالحرف يعني ببساطة كلمة تؤدي وظيفة معينة داخل وحدة ثنائية من هذا النوع. إن مصطلح الموضع في "الكتاب" يختصر دائمًا "مكانة في الكلام" إضافةً إلى "الوظيفة" و"المكان".

يُحدِّدُ 'كارتر' في الفصل الخامس معايير الصواب، إن مصطلح "مستقيم" يعني الاستقامة في الأخلاق، وبالتالي إنه مفهوم يمكن ترجمته في النحو بأنه "الصحيح" إذ يتعلق استخدامه في الكتاب بفهم المستمع للكلام، أما مصطلحا "الحسن" و"القبح" فيصفان بنى اللغة العربية، ويمكن ترجمتهما بأنهما "العربية الجيدة" و"العربية السيئة"، وغالبًا ما يظهران مع "المستقيم" في تقدير صحة الكلام. أما "المحال" فيعني الخطأ، ويشير إلى أن انحراف اللغة ينتجُ عنهُ ضعف التواصل، ويستحضر عنصرا مهمًّا عند 'سيبويه' وهو المستمع الذي يؤثر في صيغ الكلام.

- الحسْمُ في مسألة "عشرون درهمًا":

قام 'كارتر' بفحْص موضوعَيْ الإضافة والتنوين في الفصل السادس، وأشار إلى أهميتهما في بناء اللغة العربية، وعمدَ إلى جرْد المواضع الاثنين وعشرين التي استشهد فيها 'سيبويه' بعبارة "عشرين درهمًا" في الحجة النحوية، معتبرًا استخدامه المتكرر والمتّسق دليلا لا جدال فيه على كفاءة 'سيبويه' ونهجه النسقي، وعلى بُطلان الانتقادات التي طالت الكتاب وادعاء افتقاده للنسقية.

- دلائل الحكمة في فكر سيبويه:

عرضَ 'كارتر' في الفصل السابع والأخير الانتقادات التي وجهت لـ: 'الكتاب'، والنعوت التي نعت بها والأدلة والحجج المرتبطة بالردّ على كل ادّعاء ودحضه، فاعتبر 'الكتاب' تحفة الإنجاز النحوي العربي المعترف به، رغم محدودية قرّائه وعدم شعبيته، واستبعد أن تكون هذه المحدودية ناتجةً عن طوله أو دقته أو بسبب أي خطأ نحوي أو خطأ في الحكم النحوي صادرٍ عن المؤلف، وقد شبّه 'كارتر' 'سيبويه' بالقديس 'أغوسطين'، من منطلق أنه شخص ليس من الحكمة الاختلاف معه.

من الملاحظ بعد الوقوف على الفصول السبعة في كتاب 'كارتر' أنّه يذكرُ بنهاية كل فصل ملخصًا لما وردَ فيه، ويُرفِقه بالإضافات منوِّهًا بأن كلّ قسم من أقسام الفصول يعدّ أساسا لنسخة من الأطروحة في نسخها المتعددة، ذاكرًا سنة النشر واسم الفصل في تلك النسخة. ذلك أنّ الفصليْن الأول والثاني مقتطفان من أصول أطروحته التي قدّمها عام 1968 لنيل درجة الدكتوراه، وثمّة إضافات في الفصل الثالث في النسخ اللاحقة لهذه الأطروحة من نسخة عام 1972، وفي الفصل الرابع تمت الإضافة من نسخة عام 1983، وغيرها

من النسخ، مع تحديد العناوين وسنوات نشر الإضافات إن كانت جزءًا من بحث مستقل لتكملة عمله في الكتاب.

نجد بعد هذه الرحلة في كتاب 'كارتر' ومجادلته لدحض الادعاءات التي نسبت للفكر النحوي العربي أنّ مضامينَ فرضية التأثير اليوناني عادتْ للظهور مُجدّدًا في سبعينيات القرن الماضي مع كلٍّ من 'روندجرين' و'طلمون' و'فرستيغ' (في المرحلة الأولى من أبحاثه).

- على سبيل الختم:

يمكننا - بعد الوقوف على أهم مضامين دراسة 'كارتر'، والكشف عن سُبُل عرْضه للادعاءات النافية لأصالة النحو العربي، تلخيص أبرز تصوّرات المستعرب البريطاني بالقول إنّ فرضيتَهُ مَبْنِيّةٌ وِفْقَ أطُرٍ ثلاثةٍ:

- تقييم مكانة النحو العربي: إذ يعلي المستعربُ من مكانة النحو العربي بعقد مقارنة بين 'سيبويه' والمحدثين في تعريف الجملة، ذلك أن صاحب 'الكتاب' استعمل التقنية التجزيئية المماثلة لمنهجية 'زليغ هاريس'، وهي طريقة تشبه منهج تحليل المكونات الأولية، واعتبر 'سيبويه' نحويًا وظيفيًا، وأشار إلى التشابه المدهش بين أهداف 'سيبويه' ومنهجه وتلك التي استحدثها اللسانيون في القرن العشرين. كما قارن بين تعريف 'سيبويه' للحرف وتعريف اللغوي المعاصر 'ويلز'، وخلص إلى أن 'سيبويه' سابقٌ لعصره وأدواته العلمية تتشابه مع لغويي القرن العشرين.

- منطلقات فرضية أصالة النحو العربي: يرى الباحث أنّ مصطلح النحو في مرحلة ما قبل 'سيبويه' وفي كتابه لم يُستعمل بمقصده العلمي المقابل للمصطلح اليوناني، إنما الكلمة كانت تفيد معنى وجه؛ طريقة؛ سبيل؛ سنّة، وغيرها، وسرعان ما أصبح النحو نشاطا علميا أكاديميا بمعنى Grammar. كما يرى أن مصطلح "نحويين" لم يرد عند سيبويه وسابقيه ترجمةً للمصطلح اليوناني، إنما النحاة من وجهة نظر 'كارتر' قبل 'سيبويه': مجموعة تنشُدُ دراسة فصاحة الكلام، أما بعده فقد تحول المصطلح إلى معنى علمي، بسبب تأخر الاتصال بالثقافة اليونانية عقب وفاة 'سيبويه'، ويشير إلى ظهور مصطلح أهل النحو بعد وفاته بقليل. إنها مصطلحات لم تكن موجودة عند 'سيبويه' ولا عند سابقيه بالمعنى التقني، ما يُستفادُ منه عدم وجود تأثير يوناني في مرحلة نشأة النحو العربي في 'الكتاب'.

- تأثر النحو بالفقه: يؤكد 'كارتر' على علاقة النحْو بالفِقه، ويُرجِع أصول التفكير النحوي إلى التفكير الفقهي بسبب أنّ الفقه كان العلمُ الذي يحتلّ الصدارة، إذ استنبط 'سيبويه' فكره ومنهجه من علم الفقه، ويعود ذلك لعنصرين:

أولهما: المصطلحات، من قبيل: مصطلح جائز وبدل وعوض وشرط ولغو.

ثانيهما: التأثير الفقهي في سلوك النحاة ومناهجهم بسبب ارتباطهم الوثيق بالفقه في الهدف والمنهج، ويتضح ذلك في المناظرات بين النحاة والفقهاء في البلاط العباسي. يتجلى تأثير الفقه في النحو بمطالعة عناوين كتب النحاة، من ذلك: تقويم اللسان، إصلاح المنطق. ثم يبرز مدى التأثير، بالإشارة إلى أنَّ المحتوى الفقهي واضحٌ عند 'ابن فارس'، ويقدّم ملاحظات ثلاث ترتبط بلغة 'ابن فارس' ومنهجه المعتمد في كتابه 'الصاحبي'، تؤكد على هذه العلاقة:

- الفصاحة والقوة التعبيرية للعربية المكتسبة من إنتاجٍ فوق- بشري.

- وجوب العلم بلغة العرب على الفقهاء إذ هي متطلب أساس للفقيه.

- إعجاز التراكيب القرآنية من زاوية تراكيبها وتماسكها.

بذلك يستنتج مُعطى تلاحم النحو مع الفقه، ويؤكد على العلاقة القائمة بين جميع العلوم نتيجة اشتراك العديد من التخصصات بالثقافة العربية الإسلامية في تناول القضايا الفكرية.

- المصادر والمراجع

- العربية:

- جدامي، عبد المنعم السيد أحمد. (2016). المستشرقون والتراث النحوي العربي، الفصل الأول.

- الحريص، ناصر بن فرحان. (2017). مايكل كارتر وجهوده في درس النظرية النحوية التراثية مع ترجمة بحثه: التداولية واللغة التعاقدية في البدايات الأولى للنحو العربي والنظرية الفقهية. مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع19 ،371 – 432.

-الزَّجَّاجي، لأبي القاسم (ت337هـ). (1406 هـ-1986 م). الإيضاح في علل النحو، تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة.

- ' قطب أحمد مجدي عبد الستّار ' (2020). "دراسة المستعرب (مايكل كارتر) لسيبويه ترجمة ودراسة"، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة.

- اليعبودي خالد (2018)، قضايا المصطلحية النحوية، منشور بالعدد التاسع من مجلة "مصطلحيات"، ص ص: 15-52، سنة النشر 2018.

- الأجنبية:

- Anbārī, Abū al-Barakāt ibn al-Anbārī, ***Nuzhat al-****alibbā' fī ṭabaqāt al-udabā*,' ed. M. Abi al-Faḍl Ibrāhīm, Cairo [1967].
- Baġdādī, al-Ḥāfiẓ Abū Bakr Aḥmad ibn ʻAlī al-Ḫaṭīb*, Ta'riḫ Baġdād aw Madīnat* ***al-****Salām*, 14 vols., Cairo/Baghdad, 1931.
- Carter, M. G. 2016. *Sībawayhi's Principles Arabic Grammar and Law in Early Islamic* ***Thought***. Atlanta, Georgia. Lockwood press.
- Fischer, August, Bräunlich, E. 1945. Schawāhid-Indices. Indices der Reimwörter und der Dichter der in den Schawāhid-Kommentaren und in verwandten Werken erläuterten Belegverse. Leipzig, Wien.
- Flügel, G., ***Die grammatischen Schulen der Araber***. Erste Abteilung, die Schulen von Baṣra und Kūfa und die gemischte Schule, Leipzig, 1862.
- Ibn al-Nadīm, ***Fihrist***, Cairo n.d.
- Ibn Qutayba, Abū Muḥammad ʻAbdullāh ibn Muslim*, Kitāb al-Maʻārif*, ed. Saroit Okasha (Ṯarwat ʻUkāša), Cairo, 1960.
- Ibn Saʻd, *Kitāb al-Ṭabaqāt al-kabīr*, ed. E. Sachau and others, 8 vols., Leiden, 1905–1915.
- Pellat, C., ***Langue et littérature arabes***, Paris, 1952.
- Sīrāfī, Abū Saʻīd al-Ḥasan ibn ʻAbdullāh, *Kitāb Aḫbār al-****naḥ****wiyyīn al-****Baṣ****riyyīn*, ed. F. Krenkow, Paris/ Beirut, 1936.
- Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, ***Al-****Muzhir fī ʻulūm al-luġa wa-anwāʻihā*, 2 vols., ed. M. A. Jād al-Mawlā, ʻA. M. al-Bajāwī and M. Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Cairo, n.d.
- Yāfiʻī, Abū Muḥammad ʻAfīf al-Dīn, *Mir'āt al-jinān wa-ʻibrat al-****yaqẓ****ān*, 4 vols., Hyderabad, 1337–39.
- Yāqūt, Šihāb al-Dīn, *Iršād al-arīb ilā maʻrifat al-adīb*, 7 vols., ed. D. S. Margoliouth, 2nd ed. London, 1923–1931, repr. Baghdad, n.d.
- Zajjāj. 1963–65. (attrib.). *Iʻrāb al-Qur'ān*. ed. I. Abyārī. 3 parts, Cairo.
- Zubaydī, Abū Bakr, Ṭabaqāt al-naḥwiyyīn wa-l-luġawiyyīn, ed. M. Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Cairo, 1954.